قد تكون أهم مشاكل فننا المعاصر ما يتصل بالشكل العالمي المشترك، شكل الموجات الجديدة وتقليدها. ففي العالم اليوم مراجعة للتيارات الحديثة التي اندفعت وتدفقت بسرعة هائلة. مما جعل المشرفين على الفنون في العالم، التنبه إلى خطورة ما يجري للفن. وعلينا بالذات نحن العرب وما يدور حولنا في العالم الثالث أصحاب الحضارات الإنسانية العريقة ان نتنبه إلى ما يجري ويجذبنا بدون أن يكون لنا راي في ما يجري.

في الدير شبيجل/ يقول (هيربرت ريد) الناقد والفيلسوف المعروف أن تسعة أعشار الفن الذي يطلب منا اليوم أن نعترف به (أي مطلوب وليس الفن هو الذي يطرح نفسه) ليس فنا حديثا إلا بمفهوم واحد ... مفهوم (الموضة) وهو يشير بكتاباته الأخيرة إلى الخلط والغموض اللذين يسيطران على الفن المعاصر وينوء بأن المصور الحديث قد وصل إلى خاتمة مطافه في عالم الاكتشافات، وعبرها إلى عالم من المجهول واللامسمى. ويرى (ريد) أن الفن يجب أن يلتقي مرة أخرى مع جمهوره خلال لغة من الرموز قد لا تكون حتما من عالم المرئيات الملموسة والظاهرة ولكنه يجب أن تكون لغة محددة متينة البنيان، يشعر بها المتلقي ويعيش معها. ويطلق ناقد آخر صيحة الخطر حين يقول: إن الفن ليس (كموضات) كريستيان ديور، تدفعه بيوت الأزياء ونحيطه بالدعاية وترعاه السيدات الثريات، ليتخذ الزي الجديد مكانته المرموقة خلال موسم ثم يختفي وإنما يجب أن يكون الفن عملا جادا زاخرا بالقيم وإلا راح هباء.

هذه الصيحات يرددها الأدباء والنقاد في العالم إزاء إسراف الفن في الغموض والإغراب أو الاستهانة بالقيم والاستهتار بالمتلقي وإهماله مقابل هذا التيار الجارف. وما أجدرنا بوقفة لنراجع فيها ما نستورده من المدارس الأجنبية، ونعيد خلالها تقويمها وما أجدرنا بالحذر، من الاندفاع وراء موجات (الموضة) الزاحفة إلينا.

وهنا لست في هذا أطالب الفنان بمواصفات معينة، ولا بنهج معين. وإنما أتمنى عليه بالصدق في التعبير عن نفسه، فلا يعتنق إتجاها غير نابع من ذاته، ولا يجرد نفسه من خصوصياته ليتبع النزعات الحديثة، إذ إن الفن يجب أن ينبع من نبض الفنان بصدق حتى يشع بالصدق والحياة .

تمام الأحكل